Dirasat: Human and Social Sciences, Volume 52, No. 5, 2025, 7305

Deanship of Scientific Research

Arab values before Islam in the collection of Al-ẖnsāʾ a comparative study with the texts of the Holy Qur'an and the Sunnah of the Prophet

Rauf Abdullah Al-Shraiyfeen**, Khaled Sulaiman Shraideh, Khaled Hasan Al-Jabali

Department of History, Faculty of Arts, Ajloun National University, Jordan.

Received: 31/3/2024
Revised: 30/5/2024
Accepted: 1/7/2024
Published online: 1/5/2025

* *Corresponding author:*
lirauf@yahoo.com

Citation: Al-Shraiyfeen, R. A., Shraideh, K. S., & Al-Jabali, K. H. (2025). Arab values before Islam in the collection of Al-ẖnsāʾ a comparative study with the texts of the Holy Qur'an and the Sunnah of the Prophet. *Dirasat: Human and Social Sciences*, *52*(5), 7305.
https://doi.org/10.35516/hum.v52i5.7305

© 2025 DSR Publishers/ The University of Jordan.

This article is an open access article distributed under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY-NC) license https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

Abstract

Objectives: Studying poetry is one of the most important studies that is mainly concerned with the details of the Arabs' life in the Pre -Islamic Era. Therefore, this study aimed at investigating the Arabic values in that era, and comparing those values with the Holy Qur'an and Sunnah scripts by studying and analyzing Al-Khansa's poems, who was one of the most prominent poets of pre-Islamic Arab history, to find out the most prominent Arabic values at that time because her poems are considered a source of Arabic history before Islam.

Methods: The researchers adopted the comparative analytical research method by studying Al-Khansa'a's poems, explaining their linguistic vocabulary, and identifying the most prominent Arabic pre -Islamic values in those poems. Then, the researchers compared those values to the values included in Holy Qur'an and the Sunnah to demonstrate how those Arabic values are compatible with Islamic sources.

Results: The study identified several values in Al-Khansa's poetry, and, obviously, she was so proud of those values, which included: honoring the guest, good manners, helping the oppressed, taking revenge, sovereignty, generosity and abundance of giving, protecting the neighbor's rights and chivalry. The researchers also concluded that all those values are consistent with the Islamic vision of human life.

Conclusions: The Holy Qur'an and the Sunnah came to emphasize many of the pre-Islamic Arab values, in confirmation of the Prophet's (PBUH) saying: "I was sent only to perfect good morals".

Keywords: Al-Khansa, the sunnah of the prophet, Arabs before Islam, the Holy Qur'an, Arab values.

القيم العربية قبل الإسلام في ديوان الخنساء، دراسة مقارنة مع نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية

رؤوف عبد الله الشريفين*، خالد سليمان الشريدة، خالد حسن الجبالي

قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة عجلون الوطنية، عجلون، الأردن

ملخّص

الأهداف: تعدّ دراسة الشعر واحدة من أهم الدراسات التي تقف على تفاصيل حياة العرب قبل الإسلام، لذلك هدفت هذه الدراسة لمعرفة القيم العربية آنذاك، ومقارنتها مع نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية؛ بدراسة أشعار واحدة من أبرز شاعرات التاريخ العربي الجاهلي، والمتمثلة بالخنساء، وتحليل هذه الأشعار للوقوف على أبرز القيم العربية زمن الخنساء بوصف هذه الأشعار مصدرًا من مصادر تاريخ العرب قبل الإسلام.

المنهجية: اعتمد الباحثون منهج البحث التحليلي المقارن لهذه الدراسة، فقد قاموا بدراسة أشعار الخنساء، وتحليل مفرداتها اللغوية، والوقوف على أبرز ما جاء في شعرها من قيم عربية لدى العرب قبل الإسلام. ثم مقارنة هذه القيم مع القرآن الكريم والسنة المطهرة؛ لبيان مدى اتساق القيم العربية مع المصادر الإسلامية.

النتائج: خلصت الدراسة إلى إبراز عديد القيم في شعر الخنساء، وقد تفاخرت بها الخنساء أيما تفاخر، ومنها: إكرام الضيف، والخلق الحسن، وإجارة المظلوم، والحث على الثأر، والسيادة، والكرم وكثرة العطاء، وحماية حق الجار، والفروسية. وكلها تتفق مع الرؤية الإسلامية للحياة البشرية.

الخلاصة: جاء القرآن الكريم والسنة النبوية للتأكيد على كثير من القيم العربية قبل الإسلام، مصداقًا لقول النبي صلى الله عليه وسلم: "إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق".

الكلمات الدالة: الخنساء، السنة النبوية، العرب قبل الإسلام، القرآن الكريم، القيم العربية.

مقدمة

تُعدُّ القيم العربية من أقوى ما بُنيت عليه المجتمعات العربية، ومن أهم الروابط التي تربط بين أفراد المجتمع، ففيها تنتشر المحبة بين أفراد المجتمع، وتعم الأخوّة بينهم، ويقوى التماسك والترابط بينهم بها، فهي الضمانة لاستقرار المجتمعات وازدهارها، ونجد أنّ الأمم التي تنهار إنما يكون بداية انهيارها في انهيار قيمها وأخلاقها؛ فلا يمكن فصل القيم عن الأخلاق، فهي تشترك معاً في تحديد وضبط السلوك البشري في وجهته العامّة والخاصّة، قال شوقي في حديثه عن الأخلاق:

إنَّما الأمم الأخلاق ما بقيت فإن هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا (شوقي، 2012، 21)

وقد تفاوتت آراء الباحثين في القيم العربية قبل الإسلام، فهناك من يرى أن هذه القيم كانت تمثل مكارم الأخلاق، ورأى غيرهم أن مجموعة من القيم الجاهلية كانت منبوذة، ومكروهة في زمننا الحالي. وللوقوف على أهم وأبرز أنواع القيم الجاهلية وجد الباحثون لزامًا عليهم الكتابة في هذا الموضوع، مستندين بذلك إلى أهم ما يميز العرب في هذه الفترة، وهو الشعر الجاهلي، الذي يعد مصدرًا مهمًا من مصادر الثقافة العربية، ودليلًا واضحًا على ما يمتازون به من قيم، فقد سجّل الشعراء أهم ملامح العرب قبل الإسلام، وقد تتابع حفظها والتغني بها من خلال تناقل الأشعار، والتفاخر بها في الأسواق الثقافية كسوق عكاظ.

وبما أن الشعر هو عمود العرب، حيث كان الشاعر يقوم مقام المؤرخ فيه، ويقوم بدور المادح، والساخر من خلال شعر الهجاء الذي يذم فيه بعض الأشخاص أو بعض القبائل، فقد رأى الباحثون تناول شعر الخنساء - صاحبة المجد والسيرة في شعرها، وهي التي أجمع عليها علماء الشعر أنه لم يكن قبلها ولا بعدها أشعر منها من النساء (ابن الأثير، 2012: 1507) - نموذجًا لمعرفة القيم العربية قبل الإسلام.

وقد قسم الباحثون البحث عدة أبواب، كالآتي:

1. تعريف القيم العربية.
2. تعريف الخنساء.
3. تعريف ديوان الخنساء.
4. القيم العربية ومقارنتها بالقرآن والسنة.
5. الخلاصة

أولًا: تعريف القيم العربية

المعنى اللغوي للقيم: جاء في المعجم الوسيط أن "قيمة الشيء هي قدره، وقيمة المتاع هي ثمنه، ويقال ما لفلان قيمة أي ما له ثبات ودوام على الأمر" (مجمع، 1979، قوم). والقيمة واحدة القيم، والقيمة ثمن الشيء بالتقويم، تقول تقاوموه فيما بينهم، وإذا انقاد الشيء واستمرت طريقته فقد استقام لوجه، ويقال: كم قامت ناقتك؟ أي كم بلغت؟ والاستقامة التقويم لقول أهل مكة استقمت المتاع أي قوّمته (ابن منظور، 1413، قوم). ويظهر من خلال المعنى اللغوي أن القيمة هي: التقدير والثمن.

المعنى الاصطلاحي للقيم: تعد القيم صفة في الأشياء تدل على الخصائص الثابتة التي تقدر بها، وعلى أنواع المعتقدات التي يحملها شخص أو مجموعة أو مجتمع بأسره، ويعتبرها مهمة، ويلتزم بها، وتحدد له الصواب والخطأ، والصالح والطالح، والجيد والسيئ، والمقبول والمرفوض من السلوك الإنساني (Strees, 1991). بمعنى أن القيم توجه سلوكنا وتعكس احتياجاتنا واهتمامنا.

عرف الجلاد القيم بأنها: "مجموعة من المعتقدات والتصورات المعرفية، والوجدانية، والسلوكية الراسخة، يختارها الإنسان بحرية بعد تفكر وتأمل، ويعتقد بها اعتقادًا جازمًا، تشكل لديه منظومة من المعايير، يحكم بها على الأشياء بالحسن أو القبح، وبالقبول أو بالرد، ويصدر عنها سلوك منتظم يتميز بالثبات والتكرار والاعتزاز" (الجلاد، 1427، 12).

وتعرف بأنها: "المثاليات التي تسود بين الأفراد، وتتغلغل في نفوسهم، ويتوارثها الأجيال، ويدافعون عنها قدر الإمكان" (الكافي، 2005، 18). وهي: "تلك المعتقدات والمبادئ المكتسبة، التي يحملها الفرد نحو الأشياء والمعاني وأوجه النشاط المختلفة والمتدرجة، من الأهم إلى المهم، أو من الأعلى إلى أسفل، تحت أطر وقوانين ومقاييس انبثقت من جماعة ما، وتكون لها من القوة والتأثير عليه وعلى الجماعة" (بوعطيط، 2012، 18).

كما تعرف بأنها: "النظام الذي من خلاله يحب الفرد أو لا يحب مجموعة من المبادئ المختلفة الملزمة، والرغبات الداخلية والخارجية، والأحكام المقبولة وغير المقبولة، والمتطرفة والنماذج المشتركة، التي تحدد وجهة نظر الفرد من العالم" (Gibson, 1994). وهي أيضًا: "مجموعة المفاهيم والمعايير التراثية المحددة لما يجب أن تكون عليه الحياة المثلى للأفراد الذين تضمهم الجماعات وتتكون منهم المجتمعات" (الكبيسي، 1986، 7؛ المعايطة وخصاونة، 2005، 5).

وبناءً على ما سبق من تعريفات، تعد القيم من القضايا التي تعددت فيها الآراء، واختلف أهل الاختصاص في تعريفها؛ نظرًا لما تتسم به من عمق معرفي وثقافي خاضع لمعتقدات الفرد والمجتمع وثقافتهما، فعند الحديث عن القيم فإن المتكلم ينطلق من خلفيته الدينية والثقافية، وتصور الشخص

عن القيم مرتبط بما يلمسه ويشاهده في مجتمعه من حيث أهميتها ودرجة إلزامها.

وانطلاقًا من عديد التعريفات، يتضح للباحثين أن مفهوم القيم يختلف تعريفه باختلاف الدارسين وخلفياتهم الثقافية، وغايتهم من دراستهم، والزاوية التي من خلالها ينظر كل منهم إليها، لذلك يعرف الباحثون القيم العربية بأنها: مجموعة المعتقدات العربية التي تعمل على ضبط سلوك الفرد في مجتمعه، وهي مقبولة مجتمعيًا، ومتغيرة زمانيًا ومكانيًا حسب المجتمع وثقافته، ويحكم عليها بالقبول والرفض، والجيد والسيئ، والصالح والطالح، والصواب والخطأ.

ثانيًا: تعريف الخنساء

هي تماضر بنت عمرو بن الحارث بن الشريد بن رياح بن يقظة بن عصية بن خفاف بن امرئ القيس بن بهثة بن سليم بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان بن مضر (الأصفهاني، 994، 15: 55) المتوفاة سنة 24 هـ، صحابية وشاعرة من أهل نجد، أدركت الجاهلية والإسلام، وأسلمت في السنة الثامنة للهجرة عندما أتت مع قومها لمبايعة النبي صلى الله عليه وسلم. وهي من آل الشريد من سادات وأشراف العرب، وملوك قبيلة بني سليم في الجاهلية، سكنوا بادية الشام في الشمال الشرقي من مدينة يثرب (الحصري، د. ت، 4: 957؛ ابن قتيبة، 1932، 301).

لم يكن في تاريخ الخنساء ما يثير الانتباه في طفولتها وشبابها، ولا شيء يلفت النظر غير امتيازها بالجمال ومحبة أبويها وأخويها، وعطفهم وحنانهم، حتى وصلت إلى مرحلة الكبرياء والاعتداد بالنفس، وكان لذلك أكبر الأثر في تكون شخصية الخنساء. وصلت بها المفاخرة أن جاء يوماً دريد بن الصمة - وهو سيد بني جشم- وطلبها للزواج فرفضت؛ معللة قولها لأبيها "يا أبت: أتراني تاركة بني عمي مثل عود الرماح وناكحة شيخ بني جشم؟" (الأصفهاني، 1994، 10: 22)، ويذكر أنها تزوجت برجل من قبيلتها اسمه عبد العزى السُلمي، وهو مقامر مستغل لمالها ومال أخيها صخر أسوأ استغلال، وقد أنجبت من عبد العزى ولداً واحداً هو أبو شجرة عبد الله. ثم تزوجت من مرداس بن أبي عامر السلمي الملقب بالفيض؛ لشدة كرمه وعطائه، وأنجب منها العباس وزيد ومعاوية، وبنت اسمها عمرة (ابن حزم، د. ت، 261).

ابتليت الخنساء بوفاة أبيها، وترك زوجها الأول وموت الثاني، ووفاة أخويها معاوية وصخر، الأمر الذي هيج القريحة الشعرية عندها، فهي من آباء شعراء، أبرزهم: النابغتين الذبياني والجعدي، وزهير بن أبي سلمى، والحُطيئة والشماخ (الزبيدي، 2008، 7: 28). حتى إنها كانت تقول الشعر في زمن النابغة الذبياني، وقد أجمع أهل العلم والشعر أنه لم تكن امرأة قبلها ولا بعدها أشعر منها، فقد أنشدت في سوق عكاظ بين يدي النابغة الذبياني وحسان بن ثابت فأعجب بشعرها، وقال: "اذهبي فأنت أشعر من كل ذات ثديين". وفي هذا البحث تعتبر ميزة الخنساء أنها امرأة أدركت الجاهلية والإسلام، وكثير شعرها قيل قبل الإسلام، فهي في شعرها تعبر عن القيم المجتمعية كافة للعرب في العصر الجاهلي.

ثالثًا: تعريف ديوان الخنساء

تناول الباحثون بالدراسة ديوان الخنساء، بشرح أبي العبّاس ثعلب أحمد بن يحيى بن سيار الشيباني النحوي (ت 291هـ/ 904م)، إمام الكوفيين في النحو واللغة في زمانه، وتحقيق أنور أبو سويلم، الصّادر عن دار عمّار في عمّان عام 1988م، فهي طبعة علميّة محقّقة وموثّقة، وذلك لأنها نسخة جمعت من الرواة السُلميين، فهم أدعى لحفظ شعر الخنساء وجمعه منذ وقت مبكر، ولا شك أن كثيرًا من بني سليم حفظ موروثها الأدبي ونقله إلى عصر التدوين نقلًا أقرب ما يكون إلى الصحة. يتكون ديوان الخنساء من مجموعة من القصائد صنفها المحقق بحسب البحور الشعرية، وبحسب القافية، فجاءت في الديوان في سبع وخمسين قصيدة.

رابعًا: القيم العربية ومقارنتها بالقرآن والسنة

عَمِدَ الباحثون إلى دراسة القصائد الواردة في ديوان الخنساء، وتحليل النص لغةً واصطلاحًا؛ للوقوف على القيم العربية قبل الإسلام من خلال هذه الأشعار، وقد أورد الباحثون تعدادًا للقيم، وأوردوا أدلة على كل قيمة من شعر الخنساء، مكتفين بدليل أو اثنين على الأكثر؛ ذلك أن بعض القيم كالكرم والجود لها من الأدلة العشرات.

1. **ضرب الرأس بالنعال، وحلق الرأس عند المصيبة.**

قالت الخنساء في رثاء معاوية بن عمرو في القصيدة الثانية (الخنساء، 1988، 62-63):

هريقي من دموعك واستفيقي وصبرًا إن أطقت ولن تطيقي

بعاقبة فإن الصبر خير من النعلين والرأس الحليق

ومعنى هذه الأشعار حثّ الخنساء نفسها على الصبر الذي يحمد عاقبته، حيث تتجلى الصورة الشعرية[1] في هذه البيت في تبرير حث الخنساء نفسها على الصبر؛ لأن الصبر أفضل من ضرب الوجوه بالنعال، وحلق الرؤوس. قال الأعراب: المرأة إذا تسلت عندنا لبست شرّ ما تجد من اللبوس، وحلقت رأسها، وانتعلت بنعلين، أو لم تنتعل، وليس الضرب بالنعل على الوجه بشيء، وإنما تلبس النعلين للزهد في الدنيا، وللحزن على حميمها (الخنساء، 1988، 64).

[1] - للمزيد حول الصورة الشعرية ودورها في العمل الأدبي، انظر: (الخرابشة، 2014، 97-126).

رفض القرآن الكريم هذه القيمة عند العرب، فبدأ بوصف الموت بالمصيبة، ومما يدل على أن الموت هو المصيبة قوله تعالى: ﴿فَأَصَابَتْكُم مُّصِيبَةُ الْمَوْتِ﴾ (سورة المائدة، 106). وجاءت أشعار الخنساء في هذا المقام لتؤكد على أن المقصود بالمصيبة هو الموت، وفي هذا الإطار يعد الموت هو المصيبة الأهم للإنسان المسلم، لذا جاء الرفض الرباني للتصرفات البشرية من تحريم النياحة على الميت، ولطم الخدِّ، وشقِّ الجيب، ونتف الشعر وحلقه، والدعاء بالويل والثّبور، ومما جاء فيما يتعلق بتحريم النياحة على الميت، وشقّ الثياب، ولطم الخدود، والدعاء بدعوة الجاهلية، قال الله جل وعلا: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (155) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ (سورة البقرة، 155-156)، لذا فإن المشروع عند المصيبة: الصبر والاحتساب، وأن يقول المؤمن بحديث النبي صلى الله عليه وسلم: "إنا لله وإنا إليه راجعون، اللهم آجرني في مصيبتي، واخلف لي خيرًا منها، إلا آجره الله في مصيبته، وأخلف له خيرًا منها هذا فضل عظيم" (مسلم، 1955، 2: 632). وفي شعر الخنساء السابق دليل على أن العرب قبل الإسلام كانوا يحلقون الرؤوس ويضربونها بالنعال في ذلك الوقت، وهو الأمر الذي استعاضت عنه الخنساء بالصبر، وجاء القرآن الكريم والسنة النبوية ليؤكدا على أهمية الصبر، ويرفضا تلك التصرفات العبثية عند المصيبة.

2. **التفاخر بالحكم؛ بمعنى أن فيهم أحد حكام (قضاة) العرب.**

وفي القصيدة الثانية أيضًا، تقول الخنساء (الخنساء، 1988، 68):

وإذ تتحاكم الرؤساء فينا لدى أبياتنا وذوو الحقوق

ومعنى البيت أن الناس كانوا يتحاكمون عندهم من أجل معاوية الذي يعتبر أحد حكام العرب، وأن المتحاكمين كانوا يرقون إليه؛ أي أن أصحاب الحقوق يطلبون حقوقهم، لأنهم يعرفون أن معاوية قاض فذ.

قال ابن الأثير: في أسماء الله تعالى الحَكَمُ والحَكِيمُ وهما بمعنى الحاكِم، وهو القاضي، وقال الجوهري: الحُكْم الحِكْمَةُ من العلم، والحَكِيمُ العالِم وصاحب الحِكْمَة (ابن منظور، 1413، حكم). وفي هذا المقام، يؤكد القرآن على أن الحكم لله فقط، وبالتالي أصبح المسلم يعتمد كليًا على القرآن الكريم وما ورد في سنة النبي صلى الله عليه وسلم في القضاء بين الناس، ولم تعد أقضية العرب الجاهلية نافذة، قال تعالى: ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ﴾ (سورة الأنعام، 57)، والمقصود بالحكم القضاء، فالقضاء كان عند العرب قبل الإسلام يعتمد على الحكام أو أهل الحكمة من الناس، كلٌ في قبيلته، جاء القرآن الكريم ليهذب هذه القيمة، وليعلن للأمة جمعاء أن الحاكم الواحد بين جميع الخلق هو الله، وأن هذا الحكم يكون باتباع ما أمر به الله وما جاء في القرآن الكريم، وعلى لسام نبيه محمد صلى الله عليه وسلم فقط[2].

3. **جمع القوم والعشيرة تحت راية واحدة والذود عنهم.**

تقول الخنساء في القصيدة الرابعة (الخنساء، 1988، 89-90):

وداهية جرّها جارِمٌ تُبيلُ الحواصِنَ أحبالها

كفاها ابن عمروٍ ولم يستعن ولو كان غيرُك أدنى لها

وما كان أدنى ولكنّهُ سيكفي العشيرةَ ما عالها

الداهية: المصيبة، والمعنى أن المصائب التي يأتي بها غيرك يا (ابن الشريد)، تُسقطُ الحوامل حملها من شدة هذه الداهية، فإن ابن عمرو هو الذي كفاها، على الرغم أن غيره كان أقرب إليهم (أقرب إلى القوم الذين أُصيبوا بالداهية)، فهو الذي سيكفي العشيرة ويكلفها نفسه ويكفيها. وتقول في القصيدة الثانية والثلاثين (الخنساء، 1988، 274):

كَأنْ لَم يكونوا حمىً يُتَّقى إذِ النّاسُ إذ ذاكَ مَنْ عزَّ بَزَّا

والمعنى هنا: أن الخنساء تصف وضعها بعد موت رجالها، فبعد موتهم انتهت سيرتهم حتى أصبحوا كأنهم لم يكونوا حماة للقوم لا يقدر عليهم أحد، أعزاء في زمن "من عزَّ بزّ"؛ وهو مثل قديم بمعنى من غلب سلب (الضبي، 1424، 83). لكن هذه القيمة أدرجت على لسان الخنساء في كثيرٍ من الأشعار، وفي عديد القصائد.

قال تعالى مخاطباً نبيّه صلى الله عليه وسلم: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ (سورة الشعراء، 214)، لقد كان الخطاب الإلهي لرسول الله صلى الله عليه وسلم بإنذار عشيرته الأقربين، مبنيّاً على ضرورة تخليصهم من الكفر والشرك، وهذا دلالة واضحة على أهمية العشيرة في الإسلام، فالحماية الأولى حماية الدين، وما دون ذلك فملجؤه إلى الله، وإلى دستور المسلمين القرآن الكريم. وفي هذا حثٌ واضح على ضرورة جمع العشيرة – التي هي الأقرب إلى الرسول صلى الله عليه وسلم تحت لواء الإسلام الأعمّ من العشيرة والقبيلة -، ليكفيهم النار التي توعد الله بها الكافرين، فكان الخطاب المحمدي للعشيرة من باب الخوف عليهم من الكفر والعذاب، وهذا كله بأمر إلهي. وقد اعتبر الإسلام المجتمع الإسلامي مجتمعًا واحدًا لا يجوز تجزئته، ونهى عن العصبية القبلية، فالتعصب للقبيلة، أو للبلد المفضي لكراهية غير أهل قبيلتك وبلدك، والاستعلاء عليهم، يعتبر من العصبية المذمومة المحرمة وهو من دعوى

[2] - للمزيد والتفريق بين الحكم والحكمة، انظر: حكماء العرب قبل الإسلام، انظر (الشريفين، 2022، 263-298).

الجاهلية. عَنْ جَابِرٍ، قَالَ: اقْتَتَلَ غُلَامَانِ غُلَامٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ، وَغُلَامٌ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَنَادَى الْمُهَاجِرُ أَوِ الْمُهَاجِرُونَ، يَا لَلْمُهَاجِرِينَ وَنَادَى الْأَنْصَارِيُّ يَا لَلْأَنْصَارِ، فَخَرَجَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: "مَا هَذَا دَعْوَى أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ" قَالُوا: لَا يَا رَسُولَ اللهِ إِلَّا أَنَّ غُلَامَيْنِ اقْتَتَلَا فَكَسَعَ أَحَدُهُمَا الْآخَرَ، قَالَ: "فَلَا بَأْسَ وَلْيَنْصُرِ الرَّجُلُ أَخَاهُ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا، إِنْ كَانَ ظَالِمًا فَلْيَنْهَهُ، فَإِنَّهُ لَهُ نَصْرٌ وَإِنْ كَانَ مَظْلُومًا فَلْيَنْصُرْهُ" (مسلم، 1955، 5: 1998). وهنا يؤكد الإسلام ضرورة الذود عن الإسلام والمسلمين، وليس عن القبيلة والطائفية.

4. **إجارة المظلوم وصاحب الحاجة، ورفض الظلم.**

تقول الخنساء في القصيدة الخامسة (الخنساء، 1988، 110):

حامي الحقيقة والمجير إذا ما خِيفَ جَدُّ نوائبِ الدَهرِ

والمعنى أن صخرًا هو حامي كل ما يجب عليه حمايته، وهو الذي يجير المظلوم، والذي يخاف من حوادث الدهر. وتقول في القصيدة السادسة (الخنساء، 1988، 119-120):

وكم من فارسٍ لكِ أمَّ عمروٍ يُجِلُّ برُمحِه الأنَسَ الحريدَا

كَصَخرٍ أو مُعاويةَ بنَ عمروٍ إذا كانت وجوهُ القَومِ سُودَا

ومعنى الكلام تساؤل الخنساء عن عدد الفرسان الذين يجيرهم بسلاحه، وينزل البلد الذي لا ينزله غيره مثل صخرٍ أو معاوية. وفي القصيدة الثامنة (الخنساء، 1988، 132):

كأن لم يَقُل أهلًا لطالبِ حاجَةٍ بوَجهٍ بَشيرِ الأمرِ مُنشرِحِ الصَّدرِ

وتتساءل الخنساء في هذا البيت بطريقة استنكارية عن أفعال صخر، فهو دائمًا ما يرحبُّ ويبتسم بوجه طالب الحاجة، فلا يكره طلبه، ويلبي مطلبه. وقد وردت هذه القيمة عند ابن حبيب في عدة مواطن نذكر منها: أن قريشًا طلبت الحكم بن أبي العاص فمنعته بنو أمية وأجارته (ابن حبيب، 1985، 69).

أما في القرآن الكريم، فهناك العديد من الآيات القرآنية التي تتحدث عن الظلم والمظلوم، منها قوله تعالى: ﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ﴾ (سورة القمر، 10). وهناك آيات أخرى كثيرة تتحدث عن عقوبة الظلم عند الله، منها قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ﴾ (سورة القصص، 59). ومن الأحاديث التي تتناول الظلم وعقوبته قول النبيّ -صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ-، فيما رَوَى عَنِ ربه أنَّهُ قالَ: "يا عِبَادِي إنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ علَى نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بيْنَكُمْ مُحَرَّمًا، فلا تَظَالَمُوا" (مسلم، 1955، 2: 483). ومن خلال الشواهد الإسلامية السابقة، نجد الحث القرآني على ضرورة عدم الظلم، وأن الظلم مرفوض عند الله، وقد توعد الظالم برد ظلمه، والواجب في هذا المقام نصرة المظلوم، ورفض الظلم، ورفعه عن المسلم المستضعف، أو بمدّ يد العون إليه، لأن رؤية الظلم وعدم رفعه عن المظلوم منكر، وقد حثّ الله المؤمنين على إنكار المنكر والأمر بالمعروف، قال تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ (التوبة، 71)، وقال تعالى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ (آل عمران، 104) وقال تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ (آل عمران، 110)، والآيات في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كثيرة جدًا، وما ذاك إلا لأهميته وشدة الحاجة إليه. وفي الحديث الصحيح يقول النبي الكريم: "من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان" (مسلم، 1955، 1: 69). فالإنكار يكون باليد في حق من استطاع ذلك كولاة الأمور والهيئة المختصة بذلك فيما جعل إليها، وأهل الحسبة فيما جعل إليهم، والأمير فيما جعل إليه، والقاضي فيما جعل إليه، والإنسان في بيته مع أولاده وأهل بيته فيما يستطيع. أما من لا يستطيع ذلك ينكر بلسانه، ثم بعد اللسان القلب، يعني يكره بقلبه المنكر ويظهر كراهته ولا يجلس مع أهله، فهذا من إنكاره بالقلب.

5. **إعادة السبي ورد العدوان.**

تقول الخنساء في القصيدة التاسعة عشرة (الخنساء، 1988، 219):

هُمُ رجَّعوا السَبيَ الحِسَانَ وجوهُهُم وهُم أسكنونا مَكتِنًا فعُراعِرا

بمعنى أن قيس بن عامر وأصحاب عامر كانوا قد أعادوا السبي من الحرب، وأسكنوهم في وادي مَكتِن من أرض بني سُليم، وأرض عراعر. وتقول في القصيدة العاشرة (الخنساء، 1988، 158):

سمّ العُداةِ، وفكّاكُ العُناةِ، إذا لاقى الوغى لم يكن للقِرنِ هيَّابا

والمعنى أن صخرًا قاتل الأعداء، فكّاك الأسرى، فإذا ما قابل الضجة والصوت في الحرب لم يكن لهاب الموت.

كثرت النصوص الدالة على مشروعية ردّ العدوان لأنَّه من أشد الأمور حرمةً، وأعجلها عقوبةً، وأشدها مقتاً، ومن هذه الأدلة قوله تعالى: ﴿فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُواْ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ﴾ (سورة البقرة، 194). وقال: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُواْ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ﴾ (سورة النحل، 126). وقال سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنتَصِرُونَ * وَجَزَاء سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾ (سورة الشورى، 39-40). لذا كان من الواجب رد العدوان، والذود عن الممتلكات، ورد الظلم على أهله. فردُّ العُداون عن الإنسان حق من حقوقه، بل قد يكون واجبًا، فإن اعتدى معتد على إنسان، سواء كان ذلك على دينه

أو نفسه أو عرضه أو ماله، وجب ردّه، فإن أبى أن يرتدع عن عدوانه استعين عليه بالمسلمين أو بالسلطان إن كان الأمر متاحاً، فإن لم يكن شيء من ذلك قاتله لردِّ عدوانه، امتثالًا لأمر الله: ﴿فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُواْ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ﴾ (سورة البقرة، 194).

6. كفالة الأيتام والأرامل.

تقول الخنساء في القصيدة الثالثة (الخنساء، 1988، 73):

هُمُ يملؤون لليتيم إناءهُ وهُم يُنجزون للخليل المواعدا

بمعنى أن القوم يطعمون الأيتام، وكذلك ترد في هذا البيت قيمة أخرى؛ بأنهم يصدقون الموعد مع الصديق والخليل. وتقول في القصيدة الخامسة (الخنساء، 1988، 110):

حامي الحقيقة والمجير إذا ما خِيفَ جَدُّ نوائبِ الدَهرِ
القوم أعلمُ أنَّ جَفنَتَهُ تغدو غداةَ الرّيحِ أو تسري
فإذا أضاءَ وجاشَ مِرجَلُهُ فَلَنِعمَ ربُّ النّارِ والقِدرِ
أبلَغ مواليَهُ فَقَد رُزِئوا مولىً يَرِيشُهُمُ ولا يَبرِي
تلقى عِيالَهُمُ نَوافِلُهُ فَتُصيبُ ذا المَيسورِ والعُسرِ
قد كانَ مأوى كُلُّ أرمَلَةٍ ومُدَفَّعٍ لَم يدرِ أو يدري

والمقصود بحامي الحقيقة أي صخر الذي يحمي ما يحق أن يحميه، الذي يجير الناس عندما يخاف الآخرون مما يأتي به الدهر؛ لأن القوم يعلمون أنه نحر لهم أطعمهم، ليلًا ونهارًا. فإذا أوقد النار، ووضع عليها القدر، فهو أفضل من يطعم، فينتشر الخبر عند مواليه لأنهم أصابوا العطايا العظيمة، فستذهب إليهم عطاياه في بيوتهم؛ أي يعطي الميسور والمعسور. فهو مأوى الأرامل ومأوى العاقل وغير العاقل. وتقول في القصيدة العاشرة (الخنساء، 1988، 150):

فابكي أخَاكِ لأيتامٍ وأرملةٍ وابكي أخاكِ إذا جاورتِ أجنابا

وفي هذا البيت تؤكد الخنساء على بكائها على أخيها صخر، لأنه بفقد صخر فإن الأيتام والأرامل سيفقدون مُعيلهم، ولن يجدوا من يعطيهم كما كان يفعل صخر. وقد وردت هذه القيمة عند ابن حبيب في عدة مواطن نذكر منها: أن عبد المطلب تلقى مطرودًا على بعير أعجف، فآواه إلى رحله وكساه كسوة حسنة، وأعطاه راحلة فارهة ورحلًا فاخرًا (ابن حبيب، 1985، 47).

كفالة اليتيم من الأمور التي حث عليها الشرع الحنيف، وبها يتضح المجتمع في صورته الأخوية التي ارتضاها له الإسلام، وهي من أعظم أبواب الخير التي حثت عليها الشريعة الإسلامية، قال الله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ (سورة البقرة، 215). ووردت أحاديث كثيرة في فضل كفالة اليتيم والإحسان إليه منها: عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أَنَا وَكَافِلُ الْيَتِيمِ فِي الْجَنَّةِ هَكَذَا وَقَالَ بِإِصْبَعَيْهِ السَّبَّابَةِ وَالْوُسْطَى» (البخاري، 1311، 8: 9). ومن خلال هذه الأدلة، يحث النبي الكريم على ضرورة الاعتناء باليتيم وكفالته؛ لما له من أجر عند ربه، فهو رفيق النبي صلى الله عليه وسلم في الجنة.

7. إكرام الضيف.

تقول الخنساء في القصيدة الثالثة (الخنساء، 1988، 72):

ألا إن يوم ابن الشريد ورهطه أباد جفانًا والقدور الرواكدا
هم يملؤون لليتيم إناءه وهم ينجزون للخليل المواعِدا

بمعنى أنهم يوم قتلوا ابن الشريد (معاوية بن عمرو) فقد أبادوا الجفان والقدور التي كان يُقري فيها، فهم (بني سليم) من يُطعِم اليتامى، ومن ينجزون للصديق المواعدا؛ بمعنى يفتدون الصديق بالموت. وتقول في القصيدة السادسة (الخنساء، 1988، 121):

يكُبُّون العشارَ لمن أتاهم إذا لم تُسْكِتِ المائة الوَليدَا

بمعنى إذا لم يكن في المائة من الإبل من اللبن بقدر ما يُروى منه الصبي من شدّة السّنَة، يكبّون العشار؛ أي ينحرونها، والعشار: النوق التي قد أتت عليها من حملها عشرة أشهر، لمن يأتيهم ضيفًا. وتقول في القصيدة الثامنة (الخنساء، 1988، 133-134):

ولمْ يَتَنَوَّرْ نارَهُ الضيفُ مُوهِنًا إلى عَلَمٍ لا يسْتَكِنُّ مِنَ السَّفْرِ
فمن يُجبِرُ المكسورَ أو يضمنُ القِرَى ضَمَانَكَ أو يَقري الضُيُوف كَمَا تقري

تتحدث الخنساء في هذين البيتين عن إكرام الضيف عند صخر، فناره التي توقد لا يتوهمها الضيف، وإنما هي حقيقة موجودة، فصخر هو الذي يطعم الطعام للضيوف، وليس له مثيل في هذا الأمر. وقد وردت هذه القيمة عند ابن حبيب في عدة مواطن نذكر منها: أن عبد المطلب كان يُسمى "مطعم الناس في السهل، والوحوش والسباع في الجبل" (ابن حبيب، 1985، 28). وكذلك أن من فضائل العباس بن عبد المطلب في رواية هشام الكلبي أنه كان

يمنع الجار، ويبذل المال، ويعطي النابية في قومه (ابن حبيب، 1985، 28).

تحدثت عدد من الآيات القرآنية عن إكرام الضيف بصوره المتنوعة؛ إذ لم يقتصر إكرام الضيف على تقديم الطعام والشراب، بل شمل إظهار محاسن الأخلاق، والمؤاثرة على النفس، ونحو ذلك؛ ولكلٍ منها دلالتها الخاصة المناسبة للسياق القرآني الذي جاءت به، ومن هذه الآيات: ﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ (سورة النساء، 8). قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ﴾ (سورة هود، 69). قال تعالى: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ﴾ (سورة هود، 78). وعن أبي هريرة أنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: "مَنْ كانَ يُؤمنُ بِاللَّه واليَومِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤمِنُ بِاللَّه واليَوم الآخِرِ فليَصِلْ رَحِمَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤمِنُ بِاللَّه وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ" (البخاري، 1311، 8: 32). فكان الشاهد الأول يحث على العطاء في الرزق وفي الكلام الحسن، وجاء الشاهد الثاني ليشير إلى كرم إبراهيم عليه السلام بإسراعه لجلب الطعام المتمثل بطهي العجل لضيوفه، وكان الشاهد الثالث يقدم طرحًا من نوع آخر، يتمثل بتزويج لوط عليه السلام لأبناء قومه من بناته مقابل العفة والحشمة، والابتعاد عن رذائل الأفعال. أما حديث النبي صلى الله عليه وسلم، فقد جاء بالحثّ المقصود على ضرورة إكرام الضيف، معتبرًا من يكرم ضيفه دلالة على الإيمان.

8. حُسن الخلق والصدق في الحديث والموعد.

تقول الخنساء في القصيدة الثامنة (الخنساء، 1988، 128):

فتستفرغان الدّمعَ أو تُذريانِهِ على ذِي النُّهى والباعِ والنّائلِ الغَمرِ

تخاطب الخنساء هنا عينيها بضرورة استخراج كل ما في الرأس من دموع حزنًا وألمًا على كثير العطاء، وواسع الخلق (النائل الغمر). تقول الخنساء في القصيدة السابعة عشرة (الخنساء، 1988، 208):

تولَّى بأخلاقٍ عَلَيكَ كريمةٍ وهذَّبَ قبلَ الموتِ ما لم تُهذِبِ

والمعنى أن المتحدث عنه قد سبق بالأخلاق الكريمة، وقد حصَّلَ من السخاء والطيب ما لم يُحصِّلهُ المخاطب. وتقول في القصيدة العاشرة (الخنساء، 1988، 154):

فالحمدُ حُلَّتُهُ والجودُ علَّتُهُ والصدقُ حوزتُهُ إنْ قِرنُهُ هابا

فطباع صخر أنه حامدٌ، إذا طلبت إليه حاجة فإن علّته أن يقضيها لك، فحوزته الصدق؛ بمعنى أنه صادق في حديثه وفي بأسه. وقد وردت هذه القيمة عند ابن حبيب في عدة مواطن نذكر منها: أن الله فضل محمدًا على سائر بني عبد المطلب لأنه كان خيرهم وأبرهم، وأصدقهم، وأوصلهم صلى الله عليه وسلم (ابن حبيب، 1985، 21).

جاء الحث القرآني على الصفات الحميدة في عديد الآيات، فمن الآيات التي تحث على الصدق قوله تعالى: ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ* لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ﴾ (سورة الزمر، 33). ومن الآيات التي تحث على التواضع: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ (سورة الفرقان، 63). ومن الآيات التي تحث على العفو: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ (سورة الأعراف، 199). ومن الآيات التي تحث على الإحسان: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (سورة يونس، 26). ومن الآيات التي تحث على الصبر: (﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ﴾ (سورة الأحقاف، 35). قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ (سورة البقرة، 45). ومن الآيات التي تحث على التعاون: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (سورة المائدة، 2). وقد تمثلت مكارم الأخلاق بالنبي صلى الله عليه وسلم، قال تعالى في مدح نبيه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (سورة القلم، 4). ومن خلال هذه الدلائل يظهر وجوب تمتع المسلم بحسن الخلق، وبمكارم الأخلاق كلها، حيث تعتبر هذه القيمة العربية التي تفاخر بها العرب في العصر الجاهلي قيمة مهمة ذات قبول عند الجميع، وقد جاء القرآن الكريم ليؤكد على هذه القيمة في الآيات.

9. الثأر، وهي عادة قديمة عند العرب.

تقول الخنساء في القصيدة الثالثة (الخنساء، 1988، 78):

ونَحنُ قتَلْنا مالكًا وابنَ عمّهِ ولا سِلمَ حتى يشتفينَ عوائدَا

وهنا تفخر الخنساء بأنهم قتلوا مالكًا وابن عمه، وتحث قومها على عدم السلم، وضرورة الأخذ بالثأر. وتقول في القصيدة العاشرة (الخنساء، 1988، 157):

حمَّالُ ألويةٍ، شهّادُ أنجيةٍ قطَّاع أوديةٍ للوترِ طلَّابا

والمعنى هنا: وصف الخنساء لصخر بأنه حامل اللواء في قومه، لا ينتجي القوم من دونه، يبتعد في الغزو، لأنه يطلب الثأر. وفي القصيدة الخامسة والعشرين التي تحرضُ فيها قومها أن يطلبوا بدم صخر تقول (الخنساء، 1988، 237):

حتَّى تَفُضُّوا جمعَهم وتَذكّروا صخرًا ومصرعهُ بلا ثأر

بمعنى حتى تقتلوهم جميعًا، وعند قتلهم تذكروا أنهم قتلوا صخرًا بلا ثأر يثأر له.

لم يحث الإسلام على الثأر، ولم يشجع عليه، لكن الإسلام جاء بالقصاص، وهو في اللغة مشتقٌ من القصّ؛ أيّ التّتبّع، فكأنّ المظلوم يتتبعُ الجاني عليه حتى يأخذ منه حقّه، أمّا في الاصطلاح فيُقصد به: معاقبة الجاني بذات الفعل الذي صدر منه تجاه المجنيّ عليه، سواء بالقتل أو الجرح، على أن تتوفر عدّة ضوابط لذلك، وفي القرآن الكريم عدد من الآيات تناولت الحديث عن القصاص وأحكامه، منها قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَى بِالْأُنْثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ* وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (سورة البقرة، 178-179). ومن خلال الآية السابقة، يظهر عدل الإسلام المتمثل بالقصاص، وعدم المغالاة والمبالغة في القتل؛ لما يوجبه لاحقًا من دمار للمجتمع، المتمثل في زيادة الفرقة والتشرذم بسبب القتل، مؤكدًا على أن المسلمين سواء عند الله، ولا فرق بينهم إلا بالعمل الصالح فقط، يقول تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (الحجرات، 13). فالأخذ بالثأر بدون تعدٍ لا بأس به؛ لأنه بذلك يحمل معنى القصاص وليس الثأر، يعني معناه أن تجازي من أساء إليك بمثل إساءته لقوله تعالى: ﴿وَلَمَنِ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ﴾ (سورة الشورى، 41)، وقوله: ﴿فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ﴾ (سورة البقرة، 194).

10. الحِلم وترك السفيه.

تقول الخنساء في القصيدة السادسة والثلاثين (الخنساء، 1988، 309):

ورأيهُ حكمٌ وفي قولهِ مواعظُ يُذهبنَ داءَ الغَلِيل

تقول الخنساء أن صخرًا حكيمٌ صاحب موعظة، حتى أن مواعظه تروي شديد العطش. وتقول في القصيدة الثانية والأربعين (الخنساء، 1988، 342-344):

والغافر الذنبَ العظيمَ لذي القرابة والمُمَالِح

والواهبِ العيسَ العتاقَ مع الخناذيذ السوابح

بتغمدٍ منهُ وحِلمٍ حينَ يُبغى الحِلمُ راجح

والمعنى هنا: أن صخرًا من صفاته أنه يتجاوز عن الزلات، والهفوات، عن صاحب القرابة في النسب، أو صاحب القرابة من الرضاعة. ومن صفاته أنه شديد الكرم؛ لأنه يهب الفحل من الخيل، ويهب الخيل المشرفة، ولا يندم على عطائه، فهو ليس مرائيا في العطاء، وهو صاحب حِلم، يغطي ما جاء منه ويستره فلا يرائي فيه.

الحِلْمُ من الخصال العظيمة والحميدة التي يريد الله من عباده أن يتخلَّقوا بها ويتَّصفوا بها، ولا يكون الحِلم إلا بالصبر على الإساءة، وتحمل أذى الآخرين، وهي خصلة يحبها الله ورسوله، قال الرسول صلى الله عليه وسلم لأَشَج بن القَيْس: (إنَّ فيك لَخصلتين يُحبُّهما الله: الحِلْمُ والأناة) (مسلم، 1955، 1: 48). فهذه الخصلة من أشرف الأخلاق والصفات، وأحقّها بذوي الألباب والقلوب المتعلقة بالله سبحانه وتعالى، لما فيها من سلامة العِرض وصَوْنِه، وراحة الجسد وزُكونِه، واجتلاب الحمد والتَّنعُّم بالمغفرة. قال تعالى في الحث على الحِلم: ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (آل عمران، 134)، وقال تَعَالَى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ (الأعراف، 199). وَقالَ تَعَالَى: ﴿وَلا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ۝ وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ (فصلت، 34- 35). وقال تَعَالَى: ﴿وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الأُمُورِ﴾ (الشورى، 43). وفي هذه الشواهد دليل على أن الإسلام إنما جاء ليثبت مثل هذه القيم، ويعتبرها دلالة على حُسن إسلام المرء وإحسانه، وهي خصلة ملينة للقلوب، ولا تكون إلا في صاحب الحظ الصابر المحتسب، فلا يملكها أي إنسان، وإنما مقتصرة على فئة الصابرين المحتسبين أولي العزم.

11. الفروسية.

تقول الخنساء في القصيدة الثانية (الخنساء، 1988، 68):

وإذ فينا فوارس كل هيجا إذا فزعوا وفتيان الخروق

والمعنى هنا التفاخر بكثرة فرسانهم، الذين يظهرون وترى فروسيتهم عند هيجان القتال، وهم فرسان الفلاة المتسعة. وتقول في القصيدة الخامسة عشرة (الخنساء، 1988، 198):

فيا حبَّذَا كُرْزٌ إذا الخيلُ أدبَرَت وثارَ غُبارٌ في الدَّهاسِ وفي الأَكَم

تتمنى الخنساء وجود كرز ابن أخيها عندما تثير الخيل الغبار في السهل وفي الركض، وهنا كناية عن فروسية كرز. وتقول في القصيدة الثالثة والعشرين (الخنساء، 1988، 228):

تَصَّدُ بالرُمحِ فُرسانَهَا وَتَهتَصِرُ الكَبْشَ فيها اهتصارا

وفي هذا البيت من رثاء صخر، تتفاخر الخنساء بأن صخرًا يطعن الفرسان بالرمح كما يطعن الصّيد، وتجذب إليك الفارس المغوار (القائد) فتذبحه على متن فرسه.

والفروسية هي المهارة في امتطاء الخيل وقيادتها، وتعني الاستخدام الحربي للحصان، وتتعلق الفروسية بفنون الدفاع عن النفس، وترتبط بالعصر الإسلامي ارتباطاً وثيقاً خاصة في الحروب والغزوات، والفارس فخر للقبيلة يدافع عنها في الحروب ووقت هجوم الأعداء، وقد شجع الإسلام على ممارسة الفروسية، وذلك لأنَّ الجهاد فريضة على المسلمين إلى يوم القيامة، فكانت الخيل أهم وسائل الجهاد، فهي تُظهر مدى قوة المقاتلين، فدعا الله -عز وجل- المسلمين بأن تكون الخيل أبرز أسلحتهم في الحرب، لِما لها من أثر في النصر وإيقاع الفوضى في صفوف العدو، وكثرة الفرسان دلالة على عظمة الجيش. قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾ (سورة الأنفال، 60). وقد ربط الله القوة في هذا المقام بركوب الخيل التي تدل على الفروسية بغية تخويف الأعداء ومن لديه حديث نفس تجاه المسلمين، فجاءت هذه القيمة مؤكدة على ما كان عليه العرب قبل الإسلام من تفاخر بالفروسية التي ظهرت جليًا في شعر الخنساء.

12. السيادة.

تقول الخنساء في القصيدة الثانية والأربعين (الخنساء، 1988، 330):

السيِّدُ الجحجاح وابن السادةِ الشُمِّ الجحاجح

والمعنى وصف صخر بأنه السيد الذي يسود قومه بفعاله، فهو جحجاح؛ ضخم الفعال، وهذه صفة في أهله فهو شبيههم. تقول في القصيدة السادسة والأربعين (الخنساء، 1988، 351):

رفيع العماد يفوق الرجال ويجري فيسبقُ سَبْقًا مبينًا

والمعنى أن رفعة عمد البيت كناية عن السيادة، فهو سيّد الرجال، يفوقهم في سيادته، دائم السبق فلا يُبارى.

السيادة لغة: من (س و د)، يقال: فلان سَيِّد قومه إذا أُريد به الحال، وسائد إذا أُريد به الاستقبال، والجمع سَادَةٌ، والسَّيِّدُ يطلق على الرب، والمالك، والشريف، والفاضل، والكريم، والحليم، ومُحْتَمِل أَذى قومه، والزوج، والرئيس، والمقدَّم (ابن منظور، 1413، سود)، وفي الحديث قال صلى الله عليه وسلم: "أَنَا سَيِّدُ الناس يَوْمَ الْقِيَامَةِ" (مسلم، 1955، 1: 184؛ البخاري، 1311، 6: 84). والسيادة في الإسلام لله ورسوله، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً مُبِينًا﴾ (سورة الأحزاب، 36)، ويقول سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلا﴾ (سورة النساء، 59). ومن خلال هذه الشواهد يتضح أن الإسلام إنما جاء ليؤكد سيادة الدين على البشر، فالسيادة لله في كل شيء، ولنبيه الذي لا ينطق عن الهوى، ومن بعده لأولي الأمر المتبعين للتعاليم الدينية السمحة، حيث ترتبط السيادة هنا بتطبيق الدين، والتزام تعاليمه، وليست سيادة الذات، واتباع الأوامر الشخصية. من هنا نرى أن الإسلام قد هذّب هذه القيمة لتكون سيادة الدين بديلًا عن السيادة البشرية.

13. احترام الرهان:

تقول الخنساء في القصيدة السادسة والأربعين (الخنساء، 1988، 351):

يُجِلُّ الخِطَارَ ليومِ الفَخار ويَحمي الذِّمارَ ويُعطي المئينا

والمعنى أنه يقدس الرهن الذي يُجارى لأجله في التراهن؛ من أجل يوم التفاخر، وهو حامي ما ينبغي حياطته والذود عنه، كالأهل والعِرض، وكذلك يُقدِّم للسائلين الإبل.

الرهان في الإسلام مرفوض محرم، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ﴾ (سورة المائدة، 90). والميسر: قمار العرب بالأزلام، قال ابن عباس: كان الرجل في الجاهلية يخاطر الرجل على أهله وماله، فأيهما قَمَر صاحبه [غلبه]: ذهب بماله وأهله، فنزلت الآية. من هنا يأتي الرفض الديني لمبدأ الرهان، مع التأكيد على ضرورة الصدق في الحديث والموعد، على ألا يكون الموعد رهانًا. وقد جاء التأكيد على قيمة الصدق في الموعد في القيمة الثامنة سابقًا.

14. الصبر على الشدائد ونوائب الدهر.

تقول الخنساء في القصيدة الأولى (الخنساء، 1988، 61):

بَلينا وما تبلى تعار وما تُرى على حدث الأيام إلا كما هِيَه

وهذه القصيدة في رثاء زوجها معاوية بن عمرو، حيث تقول الخنساء بأنها ابتليت بموت معاوية، ولكن تعار؛ وهو اسم جبل بطرف حرة بني سليم، مهما ابتليت ستبقى كما هي؛ بمعنى أن الخنساء لن تتغير مهما أصابها من البلاء، فهي صابرة متحملة. ومن القصيدة التاسعة (الخنساء، 1988، 146):

ويحملُ للقومِ ما عَالَهُم وإن كانَ أصغَرَهُم مولدا

بمعنى أن صخرًا كان يصبر ويتحمل ما يشقي قومه، على الرغم أنه أصغرهم سنًا. وتقول في القصيدة السادسة والثلاثين (الخنساء، 1988، 309):

ليسَ بِخَبٍ مانعٍ ظهرَهُ لا ينهضُ الدهرَ بعبءٍ ثقيل

تقول الخنساء: إن صخرًا ليس بخداع لا يحمل الأحمال (الديات والأمر الثقيل)، فلا يمنع ظهره من أن يُحمل عليه، ولكنه يحمله.

الصبر من مكارم الأخلاق التي حث الإسلام عليها، ورد الصبر في مواطن عديدة في القرآن الكريم، وقد بين الله سبحانه وتعالى في هذه الآيات فضل الصبر، وكذلك قد أمر رسوله بالصبر، وحث المسلمين عليه، لما له من أجر عظيم يوم القيامة، وقد وردت دلائل الحث على الصبر سابقًا في القيمة الأولى والثامنة. قال تعالى: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ بَلَاغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (سورة الأحقاف، 35). وقد روي أنّ - النبي صلى الله عليه وسلم - قال: "ما يصيبُ المؤمنَ من وصبٍ، ولا نصبٍ، ولا سقمٍ، ولا حَزنٍ، حتَّى الهمَّ يُهمُّه، إلَّا كفَّر به من سيِّئاتِه" (مسلم، 1955، 4: 1992).

15. الحياء والعفة.

تقول الخنساء في القصيدة الثالثة عشرة (الخنساء، 1988، 184):

وأحيا من مُخبَّأةٍ حياءً وأجرأُ من أبي شبلٍ هِزَبرِ

والمعنى أن صخرًا حيي (شديد الحياء) كما الفتاة في بيتها، لكنه شديد الجُرأة والبأس كما الأسد. وتقول في القصيدة الثانية والثلاثين (الخنساء، 1988، 277):

نَعِفُّ ونَعرِفُ حقَّ القِرى ونتخذُ الحَمدَ مجدًا وكَنزا

تتباهى الخنساء بعفة قومها، وتقديرهم للضيف؛ لأنهم يعرفون قيمة الحمد الذي يثنيه الناس عليهم.

العفة هي: خلق إيماني رفيع للمؤمن، وثمرة من ثمار الإيمان بالله تعالى، وهي دعوة إلى البعد عن سفاسف الأمور وخدش المروءة والحياء، حثّ عليها الإسلام بقول الله تعالى بالقرآن الكريم فقال: ﴿وَابْتَلُوا الْيَتَامَى حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبَرُوا وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ﴾ (سورة النساء، 6). وقال سبحانه: ﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ (سورة النور، 33). وقال صلى الله عليه وسلم: «ما يكونُ عندي من خيرٍ فلن أدَّخره عنكم، ومن يستعففْ يُعِفّه اللهُ» (البخاري، 1311، 2: 122). من هنا جاء الإسلام حاثًا على هذه القيمة، مؤكدًا على مبدأ العفة على الرغم من الحاجة خصوصًا في أموال الأيتام، مؤكدًا على ضرورة الاعتماد على الذات، وعدم سؤال الناس، وليست العفة بهذا المعنى فقط، وإنما تتجاوز ذلك إلى التنزه عما لا يباح، والكف عنه، والغنى هنا غنى النفس، والاستغناء عن الناس، وعما في أيديهم (لاشين، 2002، 10: 280).

16. الإيمان بالموت.

تقول الخنساء في القصيدة السابعة (الخنساء، 1988، 123):

كُلُّ ابنِ أنثى بِرَيبِ الدَّهرِ مرجومُ وكُلُّ بَيتٍ طَوِيلِ السَّمكِ مهدومُ

لا سُوقَةٌ منهُمُ يبقى ولا مَلِكٌ ممَّن تُمَلِكُهُ الأحرارُ والرُّومُ

والمعنى أن كل إنسان ببلايا الدهر سيصاب، وأن كل بيتٍ آخره إلى زوال، فلا أحد باقٍ من الناس، حتى لو كان ممن ملك من الفرس أو الروم. وتقول في القصيدة الثانية والعشرين (الخنساء، 1988، 225):

منَّا تُغافِصُهُ لو كانَ يَنفَعُهُ بأسٌ لصادَفَنا حيًّا أولي باسِ

أي لو كان ينفع البأس أحدًا من الموت لنفع صخرًا صاحب البأس والقوة.

للموت أجل محدود، ووقت معلوم، قدره الله على كل مخلوق، فلا يتأخر عنه ولا يتقدم؛ فكل من مات أو قُتل أو غرق أو احترق أو بأي وصف هلك، فقد مات بأجله؛ قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلًا﴾ (سورة آل عمران، 145)، وقال تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ * وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ (سورة الرحمن، 26-27). وقد جاءت هذه القيمة لتؤكد على إيمان العرب قبل الإسلام بالموت، لأنه الأجل المحتوم لكل المخلوقات.

17. حماية الجاروحفظ حقه.

تقول الخنساء في القصيدة الثالثة عشرة (الخنساء، 1988، 181):

وللأضيافِ إن طرقوا هُدُوءًا وللجارِ المُكِلِّ وكُلِّ سَفْرِ

والمعنى أن صخرًا كان للأضياف القادمين ليلًا، فلا يكره قدومهم، وهو للجار الذي ذهبت ركابه، الذي لا يكسب، فيقدم له كل ما يحتاج.

تقول الخنساء في القصيدة الثانية والثلاثين (الخنساء، 1988، 275):

هُمُ منعوا جارَهُم والنسا ء يحفزُ أحشاءها الموتُ حفزَا

غَدَاةَ لقُوهم بملمومةٍ طَحونٍ يُغادِرنَ في الأرضِ وكزَا

والمعنى هنا: أن الخنساء تصف قومها بأنهم منعوا الموت القادم إلى جيرانهم وإلى النساء، عندما وجدوهم مجتمعين كأنهم كتيبة تأكل كل شيء، وقد تركوا خلفهم أثرًا بينًا من حوافر خيلهم نظرًا لكثرتهم. وتقول في القصيدة السادسة والثلاثين (الخنساء، 1988، 308):

ونعم جارُ القومِ في ذِمَّةٍ إذا نبا الناسُ بجار ذليل

بمعنى: أن صخرًا هو أفضل جارٍ للقوم في العهد والأمان، إذا ما نَزَلَ الناس عند جار ذليل.

دلّت النصوص الشريفة من القرآن الكريم والأحاديث النبوية على عظم حقّ الجار، فقد أوصى الله -تعالى- بالإحسان إلى الجار، قال سبحانه: {﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ (سورة النساء، 36)، وبيّن رسول الله -صلّى الله عليه وسلّم- العلاقة الوثيقة بين الإيمان وإكرام الجار، وذلك بقوله: "ومن كانَ يُؤْمِنُ باللهِ والْيَومِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ جارَهُ، ومَن كانَ يُؤْمِنُ باللهِ والْيَومِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ" (مسلم، 1955، 1: 68). من هنا أكد الإسلام على هذه القيمة عند العرب قبل الإسلام بضرورة إكرام الجار، فهي لا تجلب السمعة الطيبة لفاعلها فقط، وإنما ترفع من شأنه في الدين على اعتبار أنها من الصفات الحميدة للمسلم.

18. عدم السعال امتعاضًا من الطلب.

تقول الخنساء في القصيدة السادسة والثلاثين (الخنساء، 1988، 309):

ولا بسعّالٍ إذا يُجتدى وضاق بالمعروف صدر البخيل

بمعنى: أن صخرًا ليس بسعّال إذا طُلبَ منه، والعرب تزعم أن البخيل إذا سُئل سَعَلَ وتنحنح طلبًا للمعذرة.

يعتبر السعال وسيلة دالة على الامتعاض والرفض من الطلب الذي يُطلب من الشخص، أما الإسلام فقد حث على وجوب تلبية حاجة المحتاج، لأن قضاء حوائج الناس له فضل عظيم، وهو من الأعمال الصالحة التي يتقرب بها المسلم إلى الله تعالى؛ ليرفع رصيده من الحسنات، وينال مرضاة الله تعالى في الدنيا والآخرة. قال جل وعلا: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (سورة الحج، 77). وتلبية طلب المحتاج من أفعال الخير التي حث الإسلام عليها، والتي منها إجارة المظلوم وصاحب الحاجة التي وردت في القيمة الرابعة، ورد العدوان وإعادة السبي في القيمة الخامسة، ومساعدة الأيتام والأرامل في القيمة الثامنة، فكل هؤلاء أصحاب حاجة في شدتهم، ومساعدتهم واجب على المسلم.

19. القسم بالكعبة، وبالإبل.

تقول الخنساء في القصيدة الثالثة والثلاثين (الخنساء، 1988، 279):

حَلَفتُ برب صُهبٍ مُعملاتٍ إلى البيتِ المُحرَّمِ منتهاها

والمعنى هنا: تقسم الخنساء برب الإبل أن غايتها البيت الحرام. وقد وردت هذه القيمة عند ابن حبيب في عدة مواطن نذكر منها: أن أبرهة الأشرم لما علم بما فعل النفر من كنانة بتغوطهم بالبيت الذي بناه على نسق الكعبة، أقسم بدينه ألا يتركهم حتى يخرّب بلدهم ويهدم بيتهم (ابن حبيب، 1985، 70).

الحلف بغير الله تعالى لا يجوز، لما رواه الترمذي وغيره أن ابن عمر -رضي الله عنهما- سمع رجلاً يقول: لا والكعبة، فقال ابن عمر: لا يحلف بغير الله، فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك" (الألباني، 2002، 1: 477).

20. هداية الشارد الضال الطريق.

تقول الخنساء في القصيدة العاشرة (الخنساء، 1988، 153):

يَهدِي الرَّعيلَ إذا جارَ الدَّليلُ بِهِم قَصدَ السَّبيلِ لِزُرقِ السُّمرِ رَكَّابَا

والمعنى أنه يهدي الناس والخيل للطريق إذا خانهم دليلهم. وقد وردت هذه القيمة عند ابن حبيب في عدة مواطن نذكر منها: قصة حلف الفضول (ابن حبيب، 1985، 52)[3].

[3] - وكان حلف الفضول أكرم حلف سُمع به، وأشرفه في العرب، وكان أول من تكلم به ودعا إليه: الزبير بن عبد المطلب، وكان سببه أن رجلًا من زُبيد قدم مكة ببضاعة، فاشتراها منه العاصي بن وائل، وكان ذا قدر بمكة وشرف، فحبس عنه حقه، فاستعدى عليه الزبيدي الأحلاف: عبد الدار ومخزومًا وجُمَح وسَهْمًا وعَدِيّ بن كعب، فأبوا أن يعينوه على العاصي بن وائل، فلما رأى الزبيدي الشر، أوفى على أبي قُبَيْس -جبل بمكة- عند طلوع الشمس، وقريش فى أنديتهم حول الكعبة، فصاح بأعلى صوته:

يا آل فِهر لمظلوم بضاعته ... ببطن مكة نائي الدار والنفر

ومُحرم أشعث لم يقض عمرته ... يا لَلرجال وبين الحِجر والحجَر

إن الحرام لمن تمَّت كرامته ... ولا حرام لثوب الفاجر الغُدرِ

يعتبر ضال الطريق من أصحاب الحاجة، فمساعدة الآخرين من أعظم أبواب الخير ولها مكانة عالية جداً في الإسلام الذي جاءت عقائده وشرائعه لإصلاح العلاقة بين العبد وربه، وبين العباد أنفسهم، ولهذا حث الإسلام على إيصال النفع للآخرين بقدر المستطاع، قال تعالى: ﴿وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (سورة البقرة، 195). ومن هذه الفضائل: ما رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما: أن عبد الله بن عمر .رضي الله عنهما .قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه، ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه كربة من كربات يوم القيامة، ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة" (البخاري، 1311، 3: 128؛ مسلم، 1955، 4: 1996). وهذه القيمة تتفق مع القيمة الثامنة عشرة السابقة في موضوع تلبية حاجة المحتاج.

21. الشماتة.

تقول الخنساء في القصيدة السابعة (الخنساء، 1988، 125):

إن كانَ صخرٌ تَوَلَّى فالشماتُ بِكُم ولَيسَ يَشمتُ مَنْ كانَت لَهُ طومُ

والمعنى إن كان صخرٌ قد مات، فإن الشماتة بقومه، لأن الميت في القبر لا شماتة عليه.

الشماتة من القيم السيئة المرفوضة في الإسلام، فعنْ وَاثِلةَ بنِ الأَسْقَعِ قالَ: قَالَ رسُولُ اللَّهِ ﷺ: "لا تُظْهِرِ الشَّمَاتَة لأَخِيكَ فَيرْحمُهُ اللَّهُ وَيبتَلِيكَ" (الترمذي، 1975، 4: 662).

22. الجرأة والشجاعة وقوة القلب.

تقول الخنساء في القصيدة الأولى (الخنساء، 1988، 58):

ألا لا أرى كفارِسِ الجونِ فارسًا إذا ما عَلَتْهُ جُرأةٌ وغَلانية

والمعنى أن معاوية بن عمرو ليس مثله فارس في جرأته وفي غضبه. وتقول في القصيدة الرابعة في وصف معاوية (الخنساء، 1988، 86):

حديد الفؤاد، ذليق اللسان يجازي المقارض أمثالها

حديد الفؤاد بمعنى الشجاع، وذليق اللسان: الفصيح البليغ، والمقارض الغزوات؛ بمعنى أنه يرد العدوان بمثله. وتقول في القصيدة الثالثة عشرة (الخنساء، 1988، 184):

وأحيا من مُخَبَأةٍ حياءً وأجرأُ من أبي شِبلٍ هِزَبرِ

بمعنى أن صخرًا شديد الحياء، لكنه ذو جرأة وقوة كالأسد.

الشجاع هو الشخص الذي يتحدى المخاوف ويواجه التحديات بثقة وقوة. يتميز بالقدرة على التصرف بمرونة في الظروف الصعبة، ويكون مستعدًا للتضحية من أجل مبادئه وقيمه. وقد حث القرآن الكريم على التحلي بالشجاعة وقوة القلب، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ (سورة التوبة، 123). وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُ قَالَ: كَانَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم أَحْسَنَ النَّاسِ، وَكَانَ أَجْوَدَ النَّاسِ، وَكَانَ أَشْجَعَ النَّاسِ، وَلَقَدْ فَزِعَ أَهْلُ المَدِينَةِ ذَاتَ لَيْلَةٍ، فَانْطَلَقَ نَاسٌ قِبَلَ الصَّوْتِ، فَتَلَقَّاهُمْ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم رَاجِعاً، وَقَدْ سَبَقَهُمْ إِلَى الصَّوْتِ، وَهُوَ عَلَى فَرَسٍ لأَبِي طَلْحَةَ عُرْيٍ، فِي عُنُقِهِ السَّيْفُ وَهُوَ يَقُولُ: «لَمْ تُرَاعُوا، لَمْ تُرَاعُوا»، قَالَ: «وَجَدْنَاهُ بَحْراً، أَوْ إِنَّهُ لَبَحْرٌ» (البخاري، 1311، 4: 39؛ مسلم، 1955، 4: 1802).

23. الترفع عن ارتكاب الفواحش.

تقول الخنساء في القصيدة الثانية (الخنساء، 1988، 66):

فلا والله ما سَلَّيتُ نفسي بفاحِشَةٍ عَلِمتُ ولا عُقوقِ

بمعنى أن الخنساء لم تسلِّ نفسها بفاحشة أو عقوق فعلها معاوية، حتى تتذكر تلك الفاحشة، فيخف ألمها لفقده حين تتذكر ما فعل.

الإسلام دين الطهارة والنقاء، والفطرة السوية، وهو يريد من الناس أن يكون مجتمعهم مجتمعا نظيفًا طاهرًا ليس فيه ما يشينه أو يشين أهله أو ينتقصهم، ولذلك حرم الله سبحانه الوقوع في الفواحش ما ظهر منها وما بطن، قال سبحانه: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ (سورة الأعراف، 33). وقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ﴾ (سورة النحل، 90). ونهى الله تعالى ليس فقط عن الوقوع في هذه الفواحش وممارستها، وإنما نهاهم عن الاقتراب منها أصلا فقال: ﴿ولا تَقْرَبُوا الفَواحِشَ ما ظَهَرَ مِنها وما بَطَنَ﴾ (سورة الأنعام، 152).

فقام في ذلك الزبير بن عبد المطلب، وقال: ما لهذا متبرك، فاجتمعت هاشم وزهرة وتَيم بن مرة في دار ابن جُدعان، فصنع لهم طعامًا، وتحالفوا في ذى القعدة في شهر حرام قيامًا، فتعاقدوا، وتعاهدوا بالله: ليكونُن يدًا واحدة مع المظلوم على الظالم، حتى يؤدي إليه حقه ما بلَّ بحر صوفة، وما رسا حراء وثبير مكانهما، وعلى التأسي في المعاش، فسمت قريش ذلك الحلف؛ حلف الفضول، وقالوا: لقد دخل هؤلاء في فضل من الأمر، ثم مشوا إلى العاصي بن وائل، فانتزعوا منه سلعة الزبيدي فدفعوها إليه. انظر: (ابن هشام، 1975، 1: 123).

24. الخطابة وطلاقة اللسان.

تقول الخنساء في القصيدة الرابعة في وصف معاوية (الخنساء، 1988، 86):

حديد الفؤاد، ذليق اللسان يجازي المقارض أمثالها

حديد الفؤاد بمعنى الشجاع، وذليق اللسان: الفصيح البليغ، والمقارض الغزوات؛ بمعنى أنه يرد العدوان بمثله. وتقول في القصيدة العاشرة (الخنساء، 1988، 155):

خَطَّابُ مَفْصَلَةٍ فَرَّاجُ مُظلِمَةٍ إن هابَ مُفظِعَةً أتَّى لَهَا بابا

بمعنى خطيب الحق؛ لأنه يُفصِّل بها ما يريد، فإذا ما خاف أمرًا شديدًا هيَّأ ودبَّر حتى يصل إليه فيزيله.

الخطبة في اللغة هي رسالة مقروءة غايتها الإقناع، أما الخطيب فهو القائم بعملية الخطابة وإلقاء الخطبة، فيكون الخطيب من يقوم بالخطابة لإقناع الناس بفكرة معينة أو رأي واستمالتهم والتأثير فيهم. ومن آيات القرآن الكريم التي تدعو للخطابة وإتقانها، وتصف حال الرسل وبلاغتهم قوله تعالى عن داؤود: ﴿وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب﴾ (سورة ص، 20).

ومن سنة رسول الإسلام محمد بن عبد الله قوله: "نضر الله امرأ سمع منا شيئاً فبلغه كما سمعه فرب مبلّغ أوعى من سامع" (الترمذي، 1975، 5: 34)، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (سورة النحل، 125). إنّ الحديث مع الناس يختلف باختلاف أصنافهم وطبقاتهم، فليس الجميع بمستوى واحد بل خلقهم الله أطواراً فمنهم من كان من أهل المنطق وعنده خلفيّة من العلم والثقافة والمعرفة، لذا وجب علينا مخاطبته بطريقته التي يحب، ومن هنا كانت فصاحة اللسان مطلوبة عند المسلم.

25. الاستعداد للعدو.

تقول الخنساء في القصيدة السابعة عشرة (الخنساء، 1988، 211):

وَيَعتدُ للأعداءِ بَيضاءَ نَثْرَةً كَمِثلِ غَدِيرِ الروضَةِ المُتَصَبصِبِ

بمعنى يُجهّز نفسه لمحاربة الأعداء كأنما هو ماء يجري.

"الإعداد" تهيئة الشيء للظفر بشيء آخر، والمراد من "القوة" في الحرب، كل ما يمكن به الحرب والدفاع من أنواع الأسلحة، والرجال المدرّبين ومراكز التدريب، قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ اللّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لاَ تَعْلَمُونَهُمُ اللّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لاَ تُظْلَمُونَ﴾ (سورة الأنفال، 60). أمر عام لجميع الناس بتهيئة القوى الحربية قدر استطاعتهم وما يحتاجون إليه لمواجهة الأعداء الموجودة بالفعل أو المفترض، وفُسِّرت "القوة" في الروايات بالسلاح، والسيف، والترس، والخضاب بالسواد، والرمي وذلك من باب بيان أفراد الإعداد.

الخلاصة

خَلُص الباحثون إلى أن ديوان الخنساء تكون من سبع وخمسين قصيدة جلها من نوعين أدبيين هما (الرثاء والمدح)، وكان الرثاء هو الغالب على قصائد الخنساء، وعلى وجه التحديد رثاء أخيها صخر، وقد امتاز شعر الخنساء بكثرة القيم التي كانت دارجة عند العرب في الجاهلية، فقد حوى هذا الديوان ستًا وعشرين قيمة عربية تتفق مع ما ذهب إليه الباحثون من تعريفٍ للقيم العربية. وتعد هذه القيم هي ذاتها القيم السائدة في مجتمعنا الحالي، باستثناء بعض القيم التي كانت تعتبر مقبولة في زمانها، وأصبحت اليوم مكروهة ومنبوذة كالثأر، وضرب الرأس بالنعال عند المصائب، وإن كنا نشاهدها في بعض المجتمعات اليوم.

جاءت القيم في متن البحث مفصلة بحسب الغرض المرجو منها، وبمجملها إنما تحث على مكارم الأخلاق التي امتاز بها العرب في الجاهلية، تصديقًا لقول النبي صلى الله عليه وسلم: "إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق". وقد برزت القيم في شعر الخنساء فجاءت في كثير من القصائد، وتفاخرت بها الخنساء أيما تفاخر، ومنها: إكرام الضيف، والخلق الحسن، وإجارة المظلوم، والحث على الثأر، والسيادة، والكرم وكثرة العطاء، وحماية حق الجار، والفروسية. وقد خَلُصَ البحث إلى أن شعر الخنساء مثالٌ للقيم عند العرب في الجاهلية. وقد جاء الإسلام ليتمم هذه القيم الدارجة قبله، وليؤكد على كثير منها، فجاء النص القرآني ليتفق مع هذه القيم، وكانت أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم مؤكدة أيضًا على عدد منها.

المصادروالمراجع

القرآن الكريم.

ابن الأثير، ع. (2012). *أُسد الغابة في معرفة الصحابة*. بيروت: دار ابن حزم.

الأصفهاني، ع. (1994). *كتاب الأغاني*. دار احياء التراث العربي.

الألباني، م. (2002). *صحيح موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان*. الرياض: دار الصميعي للنشر والتوزيع.

البخاري، م. (1311). *صحيح البخاري*. مصر: الطبعة السلطانية، المطبعة الكبرى الأميرية، بولاق.

الترمذي، م. (1975). *سنن الترمذي*. (ط2). مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي.

الجلاد، م. (1427). *تعلم القيم وتعليمه*. عمان: دار المسيرة.

ابن حبيب، م. (1985). *المنمق في تاريخ قريش*. بيروت: عالم الكتب.

ابن حزم، ع. (د.ت). *جمهرة أنساب العرب*. مصر: دار المعارف.

الحصري، إ. (د. ت). *زهر الآداب وثمر الألباب*. بيروت: دار الجيل.

الخرابشة، ع. (2014). وظيفة الصورة الشعرية ودورها في العمل الأدبي. *مجلة الآداب جامعة بغداد*، (110)، 97-126.

الخنساء، ت. (1988). *ديوان الخنساء*. الأردن: دار عمار.

الزبيدي، م. (2008). *تاج العروس من جواهر القاموس*. (ط2). طبعة الكويت.

سفيان، ب. (2012). *القيم الشخصية في ظل التغير الاجتماعي وعلاقتها بالتوافق المهني. أطروحة دكتوراه*، جامعة منتوري.

الشريفين، ر. (2022). حكماء العرب قبل الإسلام من خلال المصادر العربية دراسة تاريخية. *مجلة جامعة الشارقة للعلوم الإنسانية والاجتماعية*، 19(4)، 263-298.

شوقي، أ. (2012). *الشوقيات*. المملكة المتحدة: مؤسسة هنداوي.

الضبي، ا. (1424). *أمثال العرب*. بيروت: دار ومكتبة الهلال.

ابن قتيبة، ع. (1932). *الشعر والشعراء*. مصر: المكتبة التجارية الكبرى.

الكافي، إ. (2005). *موسوعة القيم والأخلاق الإسلامية*. مصر: مركز الإسكندرية.

الكبيسي، ع. (1986). القيم المؤسسية في الوطن العربي كمدخل للتنمية الإدارية. *المجلة العربية للإدارة*، 10(3).

لاشين، م. (2002). *فتح المنعم شرح صحيح مسلم*. دار الشروق.

مجمع، ا. (1979). *المعجم الوسيط*. القاهرة: مجمع اللغة العربية.

مسلم، أ. (1955). *صحيح مسلم*. القاهرة: مطبعة عيسى البابي وشركاه.

المعايطة، إ.، والخصاونة، أ. (2005). *الانسجام بين القيم البيروقراطية والقيم الاجتماعية وأثره على الأداء الوظيفي: من وجهة نظر العاملين في الوزارات الأردنية. رسالة ماجستير غير منشورة*، جامعة مؤتة.

ابن منظور، ج. (1413). *لسان العرب*. بيروت: دار إحياء التراث.

ابن هشام، ع. (1975). *السيرة النبوية لابن هشام*. بيروت: دار الجيل.

References

The Holy Quran.

Ibn al-Atheer, A. (2012). *The Lions of the Forest and the knowledge about the Companions*. Beirut: Dar Ibn Hazm.

Al-Isfahani, A. (1994). *Book of Songs*. The Arab Heritage Revival House.

Al-Albani, M. (2002). *Sahih Mawarid al-Thimman to Zawa'id Ibn Hibban*. Riyadh: Dar Al-Sumaie for Publishing and Distribution.

Al-Bukhari, M. (1311). *Sahih Al-Bukhari*. Egypt: Royal Edition, Al-Kubra Al-Amiri Press, Bulaq.

Al-Tirmidhi, M. (1975). *Sunan al-Tirmidhi*. (2nd ed.). Egypt: Mustafa al-Babi al-Halabi Library and Press Company.

Al-Jallad, M. (1427). *Learning and Teaching Values*. Amman: Dar Al Masirah.

Ibn Habib, M. (1985). *Al-Munamiq in the History of Quraysh*. Beirut: World of Books.

Ibn Hazm, A. (n.d). *The Genealogy of the Arabs*. Egypt: Dar Al-Maaref.

Al-Hosary, E. (n.d). *The Flower of Manners and the Fruit of Minds*. Beirut: Dar Al-Jeel.

Al-Kharabsheh, A. (2014). The function of the poetic image and its role in the literary work. *Journal of Arts, University of Baghdad*, (110), 97-126.

Al-Khansa, E. (1988). *Diwan Al-Khansa*. Jordan: Dar Ammar.

Al-Zubaidi, M. (2008). *Taj Al-Arous from Jawaher Al-Qamoos*. (2nd ed.). Kuwait edition.

Sufyan, B. (2012). *Personal values in light of social change and their relationship to professional compatibility. Doctoral dissertation*, Mentouri University.

Al-Shariyfeen, R. (2022). Arab sages before Islam through Arab sources, a historical study. *University of Sharjah Journal of Humanities and Social Sciences*, 19(4), 263-298.

Shawqi, A. (2012). *Al Shawqiyat*. United Kingdom: Hindawi Foundation.

Al-Dhabi, A. (1424). *Such as Al-Arab*. Beirut: Al-Hilal House and Library.

Ibn Qutaybah, A. (1932). *Poetry and Poets*. Egypt: Great Commercial Library.

Al-Kafi, I. (2005). *Encyclopedia of Islamic Values and Ethics*. Egypt: Alexandria Center.

Al-Kubaisi, A. (1986). Institutional values in the Arab world as an introduction to administrative development. *Arab Journal of Management*, 10(3).

Lashin, M. (2002). *Fath Al-Moneim, Explanation of Sahih Muslim*. Dar Al-Shorouk.

Complex, A. (1979). *Intermediate Dictionary*. Cairo: Arabic Language Academy.

Muslim, A. (1955). *Sahih Muslim*. Cairo: Issa Al-Babi and Partners Press.

Al-Maaytah, E., & Al-Khasawneh, A. (2005). *Harmony between bureaucratic values and social values and its impact on job performance: from the point of view of employees in Jordanian ministries. Unpublished master's thesis*, Mu'tah University.

Ibn Manzur, C. (1413). *Lisan al-Arab*. Beirut: Heritage Revival House.

Ibn Hisham, A. (1975). *The Biography of the Prophet by Ibn Hisham*. Beirut: Dar Al-Jeel.

Gibson, J., Ivancevich, J., & Donnelly, J. (1994). *Organaization Behavior, Structure, Processes*. Boston: Richard D. Irwin Inc.